الفصل الثالث

حجاب المرأة المسلمة

أولاً : حجاب زوجات النبى ﷺ :

يقول تعالى فى آية الحجاب :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ ﴾ (١)

نزلت هذه الآية الكريمة فى نساء النبى ﷺ ، وكان نزولها فى صبيحة ليلة عرس الرسول بزينب بنت جحش . فطوال سنوات الدعوة وحتى السنة الخامسة من الهجرة كان الكل يدخلون على نساء الرسول ﷺ بدون استئذان ، وفى أوقات غير ملائمة ، وبدون داع مناسب للدخول ، وكان فى ذلك ما فيه من إقلاق للرسول ، وإزعاجٍ لنسائه وإيذائهن .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه بحساسيته المُفْرِطَة يحس أنه يجب أن يكون لزوجات النبى ﷺ وضع خاص يحجبهن عن أعين الأجانب ، فاقترح على رسول الله ﷺ الحجابَ ، فسكت عليه الصلاة والسلام ، وتكرر ذلك من عمر فى عدة مناسبات وقال : يا رسول الله ، يدخُل عليك البَرُّ والفاجِرُ ، فلو أمرتَ أُمهات المؤمنين

---

(١) سورة الأحزاب ـ من الآية الثالثة والخمسين .

بالحجاب . وكان عمر يتمنى الحجاب على رَبِّه حتى نزل القرآن الكريم مصدقًا لاقتراحه . مجيبًا لحساسيته ، وأُنزلت آية الحجاب .

ومن رواية البخارى بإسناده عن أَنَس بن مالك قال :

فى ليلة عرس النبى ﷺ بزينب بنت جحش أَوْلَمَ بِخُبْزٍ ولحم ، فَأُرْسِلْتُ على الطعام داعِيا ، فيجىء قوم فيأكلون ويخرجون ، ثم يجىء قوم فيأكلون ويخرجون ، فدعوت حتى ما أجد أحدًا أدعوه ، فقلت يا رسول الله وما أجدُ أحدًا أدعوه ، قال : « ارْفَعُوا طَعامَكُم » . فخرج رسول الله ﷺ فانطلق إلى حجرة عائشة رضى الله عنها ، فقال : «السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته » قالت : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته . كيف وجدت أهلك يا رسول الله ؟ بَارَكَ الله لَكَ . وانطلق إلى بقية حُجَرِ نسائه كلهن يقول لهن كما قال لعائشة ، وكلهن يَقُلْنَ كما قالت عائشة .

ثم رجع النبى ﷺ وقد بقى ثَلاَثَةُ رَهْطٍ يتحدثون فى البيت ويسمرون ، وبلغ بهؤلاء أن عروس النبى ﷺ ـ زينب بنت جحش ـ جالسة ووجهها إلى الحائط ، والنبى ﷺ يغدو ويروح أمامهم ، ولكنهم متغافلون ، والنبى ﷺ يستحى أن ينبههم إلى ثقلة مقامهم عنده ، حياءً منه ورغبة فى ألاَّ يُواجِه زُوَّارَه بما يُخجلهم . حتى تولى الله سبحانه عنه الجَهْرَ بالحق ، والله لا يستحى من الحق . ونزلت آية الحجاب لتقرر الحجاب بين نساء النبى ﷺ والرجال ، وجاءت هذه الآية تعلم الناس أَلاَّ يدخلوا بيوت النبى بغير إذن ، فإذا دُعُوا إلى طعام دخلوا ، أما إذا لم يُدْعُوا فلا يدخلون يرتقبون نُضْجَه ، ثم إذا طَعِمُوا خرجوا ولم يبقوا بعد الطعام للسَّمَر والأخذ بأطراف الحديث ؛ لأن أهل البيت المحتجبين متأذون محتبسون . وما أحوجنا نحن المسلمين اليوم إلى هذا الأدب الإلهى القويم .

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾

نعم ، ذلك أطهر لقلوب الجميع ، يقول الله تعالى هذا عن نساء النبى الطاهرات أمهات المؤمنين ، وعن رجال الصَّدْر الأول من صحابة رسول الله ﷺ ، ممن لا تتطاول إليهن وإليهم الأعناق . ثم كان مِنْ رَأْى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يكون الحجاب بحيث لا يدخل أحد على نساء النبى بيوتهن ، ولا يخرجن من بيوتهن ، حتى

لا يرى أشخاصهن أحد . وحَدَثَ أن إحدى زوجاته ﷺ ـ وهى سَوْدَة بنت زَمْعَةَ خرجت عشاءً لبعض حاجتها مُغَطِّيَةً رأسها ووجهها وكفيها وكل جسمها ، ولكن عمر رآها فعرفها بشخصها إذ كانت طويلة .

فقال عمر : « يا سَوْدَةُ ، أما والله لا تَخْفَيْنَ علينا ، فانظُرى كيف تخرجين ، أو كيف تصنعين » فانقلبت راجعة إلى رسول الله ﷺ وهو فى بيت عائشة فأخبرته بما كان وما قال لها عمر ، وكان عليه الصلاة والسلام يتعشى ، فنزل عليه الوحى ثم رفع عنه فقال :

« قَدْ أَذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لحاجَتِكُنَّ» .

فعمر رضى الله عنه قصد بعد آية الحجاب أَلاَّ يُبْدِينَ أشخاصهن أصلاً ، ولو كن مستترات ، فبالغ فى ذلك ، فَمُنِعَ منه ، وأذِنَ لهن فى الخروج لحاجتهن دفعًا للمشقة ، ورفعًا للحرج [1].

فأصبح الحجابُ المفروض على زوجات الرسول ﷺ هو فى الوجه والكفين ، لا فى أشخاصهن وهن مستترات .

قال القاضى عِياض :

« فرض الحجاب مما اختص به أمهات المؤمنين ، وهو فُرِضَ عليهن بلا خلاف فى الوجه والكفين ، فلا يجوز لهن كشف ذلك لا فى شهادة ولا غيرها » [2].

ويقول الله تعالى فى آية الحجاب :

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [3].

إن تلك الآداب مقصود بها كلا الجنسين من النساء والرجال .

وقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ يدل على أنه يقصد

---

(١) انظر : فتح البارى لابن حجر العسقلانى ، وتفسير ابن كثير ، والطبرى ، والإسلام والمرأة المعاصرة للبهى الخولى .
(٢) حجاب المرأة المسلمة ، لناصر الدين الألبانى .
(٣) سورة الأحزاب ـ من الآية ٥٣ .

باطن الإنسان قبل ظاهره ، وأَن تظل القلوب بمنأى عن كل عارضٍ يُشَوِّشُ صفاءها حتى يكون ظاهر الإنسان انعكاسًا لصلاح باطنه من الوقار والعفة .

قال الإمام الطبرى فى تفسيره :

« ذلك أطهر لقلوبكم وقلوبهن من عوارض العين ، فهى التى تعرض فى صدور الرجال من أمر النساء وفى صدور النساء من أمر الرجال ، يقول الله تعالى هذا عن نساء النبى الطاهرات أمهات المؤمنين ، وعن رجال الصدر الأول من صحابة رسول الله ﷺ ممن لا تتطاول إليهن وإليهم الأعناق . فهذه الآية الكريمة تنص بوضوح على وجوب تحجب النساء من الرجال وتسترهن منهم ، أوضح الله سبحانه فى هذه الآية أن التحجب أطهر لقلوب الرجال والنساء ، وأبعد عن الفاحشة وأسبابها ، فالتحجب طهارة وسلامة ، والسفور وعدم التحجب خبث ونجاسة .

وفى قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ يقول الإمام الطبرى فى تفسيره : « فيطمع الذى فى قلبه ضعف ، فهو لضعف إيمانه فى قلبه ، إما شاكٌّ فى الإسلام منافق ، وإمَّا متهاونٌ بإتيان الفواحش »[1].

ثانيًا حجاب المرأة المسلمة :

لم يكن من المعقول أن يمنح القرآن الكريم المرأة كل هذه الحقوق ، ثم يتركها من غير أن يحددلها طريقًا يحفظ عليها كرامتها ويجعلها أهلاً للتمتع بتلك الحقوق ، لهذا رسم القرآن الكريم ما ينبغى أن تسلكه المرأة فى ملبسها وزينتها وعلاقتها بالرجل .

وحقيقة حجاب المسلمة أنه « جملة من الآداب » شرعها الإسلام ليبطل ما كان فى الجاهلية من تبرج وتعرض للإثارة ، وتحلل شائن فى صلة الرجال بالنساء ، وليفصل الحدود التى تبين علاقة كل من الجنسين بالآخر [2].

إن التزام المرأة المسلمة بما جاء بكتاب الله وسُنة رسوله يزيدها فخرًا واعتزازًا بشخصيتها وكرامتها .

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ج ٢٢ ص ٣ ، وفى ظلال القرآن ج ٥ .

(٢) الإسلام والمرأة المعاصرة للبهى الخولى .

فالله تعالى يقول :

﴿ الٓمٓ ۞ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[1]

ويقول صلوات الله وسلامه عليه :

« مَنْ تَمَسَّكَ بسُنَّتِي عند فَسَادِ أُمَّتِي فَلَهُ أَجْرُ مائةِ شَهِيدٍ » .

إنَّ تبرج الكثيرات من النساء المسلمات وسُفورهن وعدم تحجبهن وإبداء الكثير من زينتهن التى حَرَّمَ الله عليهن إبداءها ، يعتبر من المنكرات العظيمة ، والمعاصى الظاهرة؛ لما يترتب عليه من ظهور الفواحش ، وارتكاب الجرائم ، وقلة الحياء ، فيكون سببًا لحلول العقوبات ، ونزول النقمات ، فيجب أن نمنع النساء مِمَّا حَرَّمَ الله عليهن ، ونُلزمهن التحجب والتستر ، ونحذر غضب الله سبحانه وتعالى ، فقد قال رسول الله ﷺ :

« إنَّ النَّاسَ إذا رَأَوُا المُنْكَرَ فلم يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ الله بِعقَابِه » .

وقد قال الله تعالى فى كتابه الكريم : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ۞ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾[2].

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال :

إن النبى ﷺ تلا هذه الآية الكريمة ثم قال :

« والذى نَفْسِى بيده لَتَأْمُرُنَّ بالمعروف ، ولَتَنْهَوُنَّ عن المنكر ، ولتَأْخُذُنَّ على يد السَّفِيه ، ولَتَأْطُرُنَّهُ على الحق أطرًا ، أو لَيَضْرِبَنَّ الله بقلوب بعضكم على بعض ، ثم يلعنكم كما لَعَنَهُم » .

وعن النبى ﷺ أنه قال :

---

(١) سورة البقرة ـ الآيتان : ١ ، ٢ .

(٢) سورة المائدة ـ الآيتان : ٧٨ ، ٧٩ .

« مَنْ رَأَى منكم مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيده ، فإنْ لم يستطع فَبِلسَانِهِ ، فإنْ لم يستطع فَبِقَلْبِه ، وذلك أضعف الإيمان » (١).

والمعنى الحقيقى للحجاب فى الإسلام هو إبعاد جو الفتنة وجو الشر عن طريق المرأة وعن طريق الرجل ، وهو الوقاية من آثار الاختلاط الضارة ، وليس هو عدم الخروج من المنازل على الإطلاق . ومن معانى الحجاب فى الإسلام عدم التبرج ، وعدم تعمد إظهار الزينة إلا للزوج أو المحارم .

وعليه فيجب على المرأة المسلمة الالتزام بالحجاب ، وأن تكون ملابسها ومظهرها بما يتفق مع أوامر الإسلام ، ودليل ذلك قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ (٢).

وقوله تعالى :

﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾ (٣).

وقوله تعالى :

﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ (٤).

١ ـ ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى :

يقول تعالى :

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) سورة الأحزاب ـ من الآية ٣٣ .
(٣) سورة الأحزاب ـ من الآية ٥٩ .
(٤) سورة النور ـ من الآية ٣١ .

﴿ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (١).

فى هذه الآيات البينات حديث إلى نساء النبى ﷺ وتوجيه إلى علاقتهن بالناس :

يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتَّقَيْتُنّ ، فأنتن فى مكان لا يشاركن فيه أحد ، ولا تُشاركن فيه أحدًا ، ولكن ذلك إنما يكون بالتقوى ، فليست المسألة مجرد قرابة من النبى ﷺ ، بل لابد من القيام بحق هذه القرابة فى ذات أنفسكن .

وذلك هو الحق الذى قرره رسول الله ﷺ وهو ينادى أهله : « يا فاطمة بنة محمد ، يا صفية بنة عبد المطلب ، يا بنى عبد المطلب ، لا أملك لكم من الله شيئًا ، سلونى من مالى ما شئتم » (٢).

وبعد أن بَيَّنَ القرآن الكريم منزلتهن التى يَنَلْنَهَا بالتقوى ، يبين الوسائل التى يريد الله أن يُذهب بها الرجس عن أهل البيت ويطهرهم تطهيرًا وهن زوجات النبى ﷺ ، وأهل البيت ، وأطهر مَنْ عَرفتِ الأرض من النساء ، ومَنْ عَداهُن من النساء أحوجُ إلى هذه الوسائل .

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾

ينهاهن الله حين يخاطبن الأغراب من الرجال أَلاَّ يكون فى نبراتهن خُضُوعٌ لَيِّنٌ يثير شهوات الرجال ، ويحرك غرائزهم ، ويُطْمِعُ مرضى القلوب ، ويهيج رغائبهم . فَمَنْ هن اللواتى يُحَذِّرُهُنَّ الله هذا التحذير ؟

إنهن أزواج النبى ﷺ ، وأمهات المؤمنين اللواتى لا يطمع فيهن طامع ، ولا يرف عليهن خاطر مريض .

وفى أى عهد يكون هذا التحذير ؟

فى عهد النبى ﷺ ، وعهد الصفوة المختارة من البشرية فى جميع الأعصار ، ولكن الله

---

(١) سورة الأحزاب ـ الآيتان : ٣٢، ٣٣ .

(٢) أخرجه مسلم .

الذى خلق الرجال والنساء يعلم أن فى صوت المرأة حين تخضع بالقول وترقق فى اللفظ ما يثير الطمع ، ويهيج الفتنة فى القلوب المريضة ، وأن هذه القلوب المريضة موجودة فى كل عهد ، وفى كل بيئة ، وتجاه كل امرأة ، ولو كانت هى زوج النبى الكريم وأم المؤمنين ، وأنه لا طهارة من الدَّنَس ، ولا تخلص من الرجس حتى تمتنع الأسباب المثيرة من الأساس . فكيف بهذا المجتمع الذى نعيش اليوم فيه فى عصرنا المريض ، الذى تهيج فيه الفتن ، وتثور فيه الشهوات ، وتتنبه فيه الغرائز ؟

وإذا كان الله عز وجل يُحَذِّرُ أمهات المؤمنين من هذه الأوصاف المنكرة ـ وهن أطهر نساء الأرض ـ فغيرهن أوْلَى ، وأولى بالتحذير والإنكار ، والخوف عليهن من أسباب الفتنة .

﴿ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾

بعد النهى عن النبرة اللينة واللهجة الخاضعة فى الحديث ، يأمرهن الله سبحانه أن يَقُلْنَ قولاً معروفًا ، فلا ينبغى أن يكون بين المرأة والرجل الغريب هَذَرٌ ، ولا هَزْلٌ ، ولا دُعابة ، ولا مزاح ، حتى لا يكون مدخَلا إلى شىء آخر ، فإن موضوع الحديث قد يُطْمع ، مثلما تُطمع لهجة الحديث .

﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾

ليس معنى هذا ملازمة البيوت فلا يَبْرَحْنَها إطلاقًا ، إنما هى إيماءة لطيفة إلى أن يكون البيت هو الأصل فى حياتهن .

ويقول الإمام الألوسى فى تفسيره :

جاء فى الحديث الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال لنسائه بعد نزول الآية : «أذن لَكُنَّ أنْ تَخْرُجْنَ لِحَاجَتِكُنّ » .

فعلم أن المراد بالأمر الاستقرار الذى يحصل به وقَارُهُنَّ بأَنْ يُلازِمْنَ البيوت فى أغلب أوقاتهن ، ولا يَكُنَّ خَرَّاجاتٍ ولا طَوَّافاتٍ فى الطرق والأسواق وبيوت الناس ، فالأمر بالاستقرار فى البيت لم يكن مُطْلَقًا ، وإلا لما أخرجهن الرسول بعد نزول الآية للحج

والعمرة ، ولما ذهب بهن فى الغزوات ، ولما رخصهن لزيارة الوالدين وعيادة المرضى»[1].

﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾

ذلك حين الاضطرار إلى الخروج بعد الأمربالقرار فى البيوت ، وقد كانت المرأة فى الجاهلية تتبرج ، ولكن جميع الصور التى تروى عن تبرج الجاهلية الأولى تبدو محتشمة حين تُقاس إلى تبرج أيامنا هذه .

قال مُجاهد : كانت المرأة تمشى بين الرجال فذلك تبرج الجاهلية .

وقال قتادة : وكانت لهن مشية تكسُّر وتغنُّج ، فنهى الله تعالى عن ذلك .

وقال مُقاتِل بن حيان : التبرج أنها تُلقى الخِمارَ على رأسها ولا تسده فيدارى قلائدها وقرطها وعنقها ، ويبدو ذلك كله منها ، وذلك هو التبرج .

وقال ابن كثر فى التفسير : كانت المرأة منهن تمر بين الرجال مفـحة بصدرها لا يواريه شىء ، وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها وأقرطة آذانها ، فأمر الله المؤمنات أن يَسْتَتِرْنَ فى هيئاتهن وأحوالهن .

وقال البخارى : والتبرج أن تظهر المرأة محاسنها .

هذه هى صور التبرج فى الجاهلية التى عالجها القرآن الكريم ليطهر المجتمع الإسلامى من آثارها ، ويبعد عنه عوامل الفتنة ودواعى الغواية . والجاهلية ليست فترة معينة من الزمان ، إنما هى حالة اجتماعية معينة ـ يمكن أن توجد فى أى زمان وأى مكان ، فيكون دليلا على الجاهليه حيث كان .

والتبرج هو أن تعرض المرأة من بدنها ما يغرى الرجل بها . وتبرج الجاهلية الأولى ليس إلا الكشف عمَّا يجب على المرأة أن تستره مِمَّا يعد سِرًّا خاصًّا بها وحدها ، وبرجلها بعد الزواج .

ويقول د . محمد البهى فى كتابه رأى الدين بين السائل والمجيب : « ونصيحة القرآن

---

(١) تفسير الألوسى ج ٢٢ ص ٩ .

الكريم إلى نساء رسول الله ﷺ هى نصيحة عامة ، موجهة إلى كل مؤمنة بدين الله ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ أى : لَكُنَّ القيادة فى مجتمع المؤمنات ، ولذا يجب أن تَكُنَّ القدوة لِغَيْرِكُنَّ فى السلوك والتطبيق ﴿ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ ﴾ أى : تَجَنَّبْتُنَّ الاختلاط ، وتمسكتُنَّ بدين الله فى ذلك ، كان خيرًا لكن .

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾ إذْ عندئذٍ ـ بعد تجنب الاختلاط منكن ـ وقاية لكُنَّ من التأثر بالقول المعسول ، والثناء الكاذب من كل مريض فى نفسه ، ممن يدفعه الاختلاط بالنساء إلى مفاتحتهن بِلَغْوِ الغَزَل » .

والقرآن الكريم إذْ يأمر نساء النبى ﷺ باتباع هذه السُّبُل ، يأمُرُهُنَّ لكى يَكُنَّ نَهْجًا تسير عليه بعدهن كل مؤمنة بالله ، فى أى وقت ، وفى أى مكان .

وبعد :

فالله سبحانه وتعالى جعل تلك الأوامر والتوجيهات وسيلة لإِذْهَاب الرجس والتطهر ، فلو أخذ الناس بها أنفسهم وحققوها فى واقع حياتهم العملية فهذا هو طريق الإسلام : شعور وتقوى فى الضمير ، وسلوك وعمل فى الحياة ، يتم بهما معًا تمام الإسلام ، وتتحقق بهما أهدافه واتجاهاته فى الحياة .

٢ ـ يدنين عليهن من جلابيبهنَّ :

قال الله عز وجل :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(١).

والجلابيب : جمع جلباب ، وهو ثوب كالمُلْحَفة أو الملاءة ، أو أى شىء يشبهها ، ويتسع حتى يكون كالملحفة ، وقد يقصر حتى يكون أوسع من الخمار ، تغطى به المرأة رأسها وصدرها وظهرها .

---

(١) سورة الأحزاب ـ الآية ٥٩ .

وقال ابن كثير ـ نقلا عن عكرمة فى معنى إدناء الجلباب : أنْ تُغطى به ثغرة نحرها، فالجلباب تضعه المرأة على رأسها بعد أن تلبس ثيابها لتستر شعرها ورقبتها وما قد يظهر من جسمها .

فأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يأمر نساءه وبناته ونساء المؤمنين عامة إذا خرجن لحاجتهن بإدناء جلابيبهن على مَحَاسِنِهن ، من الشعر والوجه والرقبة والصدر والذراعين وغير ذلك ، حتى يُعْرَفْنَ بالعِفَّة فلا يُفْتَنَّ ولا يَفْتِنَّ غَيْرَهُنَّ فَيُؤذيهن .

وأمر الإسلام بذلك لكى يسد جميع المنافذ التى يمكن أن يستغلها المنافقون وضعفاء الإيمان للنَّيْلِ من شرف المرأة وكرامتها وحُسن سمعتها ، فأمر النساء بالاحتشام حتى لا يتسببن فى التعرض لهن بالأذى والريبة .

قال السُّدِّىُّ وابن كثير فى قوله تعالى : ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾ :

« كان ناس من فُسَّاق أهل المدينة يخرجون بالليل حين يختلط الظلام إلى طُرق المدينة فيتعرضون للنساء ، وكانت مساكن أهل المدينة ضَيِّقَة ، فإذا كان الليل خرج النساء إلى الطريق يقضين حاجتهن ، فكان أولئك الفُسَّاق يبتغون ذلك منهن ، فإذا رأَوا المرأة عليها جلباب قالوا هذه حرة فَكَفُّوا عنها ، وإذا رأوا المرأة ليس عليها جلباب قالوا : هذه أَمَةٌ فَوَقَعُوا عليها » .

وقد دخل هؤلاء الفُسَّاق فى حكم قوله تعالى ـ عقب آية إدناء الجلابيب :

﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ۞ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾ (١) .

فقد جعل الله خطر هؤلاء الفُسَّاق المَاجِنين كخطر المنافقين والمرجفين ، فجريمة هؤلاء الذين يتتبعون النساء للريبة ـ فى ميزان الإسلام ـ كجريمة الخيانة العظمى ممن

(١) سورة الأحزاب ـ الآيتان : ٦٠ ، ٦١ .

يعملون على تحطيم وحدة الأمة و إضعاف روحها المعنوية وهدم كيانها السياسى . فيجب على أولِى الأمر تطهير المجتمع منهم .

وقال مجاهد فى تفسيره لهذه الآية الكريمة :

« يتجلبن فَيُعْلَم أنهن حرائر ، فلا يتعرض لهم الفساق بأذًى ولا ريبة » .

وقال الإمام ابن كثير :

« إذا فَعَلْنَ ذلك عرفن أنهن حرائر لَسْنَ بإماء ولا عواهر »[1].

من ذلك نرى الجهد المستمر لتطهير البيت المسلم ، والتوجيه المُطَّرِد لإزالة كل أسباب الفتنة والإثارة فى حياة الأسرة المسلمة .

٣ـ وليضربن بِخُمُرِهِنَّ على جُيوبِهن :

يقول الله تعالى :

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾[2].

الخُمُر : جمعُ خِمار ، وهو غطاء الرأس والنحر والصدر ليدارى مفاتنهن .

الجيوب : جمع جَيْب ، وهو فتحة الصدر والعنق فى الثوب .

وعلى هذا فيلزم أن يكون الخِمَار ساترًا لرأس المرأة وعنقها وصدرها .

وفى قوله تعالى : ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾

اللام هنا هى لام الأمر . فيأمر الله عز وجل المرأة المسلمة أن تغطى رأسها بخمارها ، وأن تستر عنقها وصدرها ونحرها حتى لا ينكشف شىء من هذه المفاتن لنظرات المتطلعين من الغادين والرائحين ، فلايعرضها للعيون الجائعة ، ولا حتى لنظرة الفُجَاءَة التى يتقى المتقون أن يطيلوها أو يعاودوها ، ولكنها قد تترك أثرًا كامنًا فى أعماق نفوسهم

---

(١) تفسير ابن كثير ـ ج ٣ .

(٢) سورة النور ـ من الآية ٣١ .

بعد وقوعها على تلك المفاتن لو تُرِكَت مكشوفة ، والله سبحانه وتعالى لا يريد أن يُعرض القلوب للتجربة والابتلاء بهذا النوع من البلاء . والمؤمنات اللاتى تلقين هذا النهى وقلوبهن مشرقة بنور الله لم يتلكَّأْنَ فى الطاعة ، على الرغم من رغبتهن الفطرية فى الظهور بالزينة والجمال .

وقد كانت المرأة فى الجاهلية تمر بين الرجال مفسحة بصدرها لا يواريه شىء ، وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها وأقرطة أذنيها ، فلما أمر الله النساء أن يضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها شققن مُروطَهُنَّ فاخْتَمَرْنَ بها على الفور. وما أجمل الفتاة المسلمة وهى متأدبة بآداب الإسلام فى ملبسها وزينتها وكلامها ومشيتها! .

فيجب على المرأة المسلمة إذا خرجت من دارها أن تستر جميع بدنها ، ولا تظهر شيئًا من زينتها فيما عدا الوجه والكفين ، كما أن ستر الوجه عند مظنة الفتنة مطلوب شرعًا ، وغض البصر واجب ، ويجب أن يكون لباس المرأة المسلمة فضفاضًا لا يشف ولا يحد ولا يصف ، ويكون كل البدن مستورًا والوجه خاليًا من الزينة ، متروكًا على أصل خلقته التى خلقه الله عليها .

والمرأة المسلمة عندما تعيش حياتها فى ظل عقيدتها ستجد فى إطار هذه العقيدة السليمة لنفسها قيمة ، ولذاتها كرامة ، ولشخصيتها كيانًا ، أمَّا حين تلغى ذاتها وتلجأ إلى رخيص ما تُحدثه فى وجهها وملبسها من زينة مصطنعة ، وتتهالك على لَفْتِ نظر الجنس الآخر ، فإنما تكون بذلك قد انحرفت عن طريق الله وسلكت طريق الشيطان ، طريق الهدم والدمار .

والتحشم وسيلة من الوسائل الوقائية للفرد والجماعة ، ومن ثم يبيح القرآن الكريم التخفف منه عند ما يأمن الفتنة ، كما فى حالة العجائز من النساء ، فلا حرج عليهن أن يخلعن ثيابهن الخارجية ، على ألاَّ تكشف عوراتهن ، ولا يكشفن عن زينة .

إن الاحتشام فى الملبس لا يعرض البنت المراهقة أو المرأة الشابة للسخرية كما يدعى البعض ، بل يوفر لها الاحترام بجانب ما تتمتع به من خُلُق وحياء ،وإذ نهى القرآن الكريم عن التبرج فإنه يؤثر للمرأة البعد عن جو الابتذال ، كما يؤثر لها أن تصون

كرامتها كأنثى لا تعرض نفسها على الرجل كما تعرض السلعة على المشترى ، وإنما تدع الرجل يحرص على طلبها كشىء عزيز ينشده .

إن أهم مبادىء دين الله الذى نؤمن به هو احترام المرأة نفسها ، وعدم تعريض بدنها بالكشف عن مفاتنه للنظرة الجارحة ، أو للهمسة الساخرة ، أو الدخول فى منافسة لا تكسب منها مَنْ تنجح ، وتَزِلُّ فيها من تخفق . وعلى الفتاة المسلمة أن تتمسك بما تؤمن به ، وإنْ خالفت ما يسمى « بالمُودة » .

إن المرأة المسلمة بإيمانها بمبادىء الإسلام ، تلك المبادىء الإنسانية السامية الكريمة، وبتطبيقها هذه المبادىء فى حياتها ، تُعْلِى من شأن نفسها أمام الآخرين الذين يسقطون فى دنيا المُتَع ، لأنها تحافظ على كرامة نفسها ، فإن كرامة الإنسان لا تُوهَب له من غيره ، وإنما تُسْتَخْلَص بذاتها ، وليس من السهل استخلاصها إلاَّ لصاحب عَزْمٍ وإيمان بالله .

وإن سُنَّةَ الطبيعة البشرية أن يُحْتَرم صاحِب المبدأ ، ويُوقَّر لمبدئه ، والمقياس فى الدين فيما يجب فعله وفيما لا يجب فعله هو كتاب الله وسُنَّه رسوله ﷺ .

٤ـ العجائز من النساء :

لقد شدد الله فى أمر التصون للمرأة المسلمة ولم يرخص فى ذلك إلا شيئًا يسيرًا خفف به عن عجائز النساء ، حيث قال تعالى : ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

فهؤلاء القواعد لاحرج عليهن أن يخلعن ثيابهن الخارجية على ألاَّ تنكشف عوراتهن ، ولا يكشفن عن زينة ، وخير لهن أن يبقين كاسيات بثيابهن الخارجيه الفضفاضة .

وقد قيد القرآن الكريم هذه الرخصة بقوله ﴿ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ﴾ أى : غير قاصدات بوضع هذه الثياب للتبرج ، ولكن للتخفف إذا احتجن إليه . فالله سبحانه

---

(١) سورة النور ـ الآية ٦٠ .

وتعالى يخبر أن القواعد من النساء ـ وهن العجائز اللاتى لا يرجون نكاحًا لا جُناحَ عليهن أن يضعن ثيابهن عن وجوههن وأيديهن إذا كن غير متبرجات بزينة ، فمعنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى حَرَّم على العجائز من النساء وضعهن الثياب إلا بشرطين :

١ ـ كونهن لا يرجون النكاح .

٢ ـ عدم التبرج بالزينة .

فمعنى ذلك أن المتبرجة بالزينة ليس لها أن تضع ثوبها عن زينتها ، وأنَّ عليها جناحًا فى ذلك ولو كانت عجوزًا ؛ لأن لكل ساقطة فى الحى لاقطة ، ولأن التبرج يفضى إلى الفتنة بالمتبرجة ولو كانت عجوزاً .

ومع هذه الرخصة فالأولى والأفضل أن يتعففن عن ذلك طبقًا للأكمل ، وبُعْدًا عن كل شبهة ، ﴿ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ﴾ فكيف يكون الحال بالشابة الجميلة إذا تبرجت ؟ لا شك أن إثْمَهَا أعظم ، والجناح عليها أشد ، والفتنة بها أكبر . وشرط الله سبحانه وتعالى فى حق العجوز ألاَّ تكون ممن يرجون النكاح ، وما ذلك ـ والله أعلم ـ إلا لأن أملها فى النكاح يدعوها إلى التجمل والتبرج بالزينة طمعًا فى الأزواج ، فَنُهيت عن وضع ثيابها عن محاسنها صيانة لها ولغيرها من الفتنة .

ثم ختم الله عز وجل الآية بِحَثِّ القَواعِدِ على الاستعفاف ، وأوضح أنه خير لهن وإنْ لم يتبرجن ، فالتحجب والاستعفاف عن إظهار الزينة خير للعجائز ـ وللشابات من باب أولى ـ وأبعد لهن عن أسباب الفتنة .

وصدق الشاعر إذ يقول للفتاة المسلمة :

أَبُنَيَّتِى ليسَ التبرُّجُ والخروجُ هو الفَضِيلَهْ
هذا ادعاء العابثين ليقتلوا الأَخْلاقَ غِيلَهْ
جاءوا به من عالم قد ضلَّ فى الدُّنْيَا سَبِيلَهْ
لا تَخْدَعَنَّكِ دَعْوَةٌ هى بين أظْهُرِنَا دَخِيلَهْ
أنا لا أقول تَمَّرغى فى ظُلمة الجهل الثقيلهْ
شَرَف الفتاةِ وحُسنها ألاَّ تميلَ مع الرَّذيلهْ

فتنقَّبِى بين الوَرَى بجلال شِيمَتِك النبيلـــهْ
لَك مـــنْ حِمى الإسلام لو تَدْرِينَ مَنْزِلَةٌ أَثِيلَـهْ
قد صَانَكِ الرحمنُ بالشَّرْعِ المُطَهَّرِ فاشكُرِى لَهْ
وحَباك أَفْضَل مـا حَبـا الإنسانَ بالنِّعَمِ الجَزيلَهْ[1]
فى غير ظل الله سوف تزيغُ فَطرتُكِ الأصِيلَـهْ
شَقِيَتْ نسَاءُ الغَربِ فَهْىَ تئنُّ يائسةً ذَليـلَهْ
لـو تَرْقُبِينَ ضميرها لَسَمِعْتِ فى ألـم عويـلهْ
وعَلِمتِ زيفَ الواقع المحموم والقِيَم الهزيـلهْ
يـا ربَّةَ الشَّرفِ المصون علـى التقى أرْخِى سُدُولَهْ
إنى أُعِيذُكِ أنْ تكـونى يَابْنَتى أبـدًا جَهُـولهْ
لَكِ فى ذَواتِ الفَضْل آيـاتٌ وأَمثلَةٌ جميـلهْ
منْ كـل طَاهِرَةِ الذُّيـولِ وكُـلِّ عالمةٍ جلِيلَـلهْ
أو كل مُصلِحَةٍ مُـرَبِّـيَةٍ تدينُ لها الرُّجُـولَهْ
مـا ضـاقَ عنكِ البيتُ أنتِ لكلِّ مكرُمَةٍ وسيـلهْ
عطْفُ الأمـومَةِ والحنـان يكـون إكْسير البُطُـولَهُ
فَـارْعَـىْ بـه أَغْراسَك الخضراءَ فـى أزْهَـى خَمِيـلَهْ
وتَعَهَّـدِى برعـايـة الرَّحْمن أزهـارَ الطُّفُـولهْ
ثَـمَّ اسْعَـدى مَرْضيَّةً أُمًّـا وَأُخْتًا أوْ حَلِيـلَه[2]

ثالثًا : الشكل العام لثياب المرأة المسلمة :

لم يفرض الإسلام زيًّا مرسومًا للمرأة ولا للرجل ، وهذا من جمال الدين ومرونته ، إنما الذى شرطه هو ستر العورة للرجل والمرأة ، وعدم إبداء مفاتن الجسم ؛ لذلِك وضع

(١) حَبَاه : أعطاه واختصه .
(٢) التقويم القطرى ـ لأحمد الصديق .

حدودًا للباس لكل منهما ، وترك لهم أن يبتكروا ما يشاءون فى تلك الحدود .

وبالنسبة للمرأة معلوم أن كل بدنها عورة ماعدا الوجه والكفين ؛ ولهذا وضع الإسلام شروطًا للحجاب الإسلامى فى شكله العام ، كما أوضح الإسلام حدود الحجاب من أعلى ومن أسفل .

١ـ حدود الحجاب :

حدود صورة الحجاب من أعلى : حددتها الآية الكريمة :

﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ .

فالخمار ـ كما مَرَّ بنا منذ قليل ـ هو غطاء الرأس ، والجيب : هو النحر مع مقدم الصدر ، والمطلوب أن يُضْرَبَ غطاءُ الرأس على النحر والصدر .

وكذلك حديث رسول الله ﷺ عندما دخلت عليه أسماء بنت أبى بكر بثياب رقيقة فقال لها :

« يا أسماء إن المرأة إذَا بَلَغَتِ المحيضَ لا يصلح أن يُرَى منها إلا هذا وهذا ، وأشار إلى وجهه وكَفَّيْه » .

وتحكى السيدة عائشة رضى الله عنها :

كانت نساء المؤمنات يَشْهَدْنَ مع النبى ﷺ الفجر مُتَلَفِّعَاتٍ بُمروطِهِنَّ ، ثم يَنْقَلِبْنَ إلى بُيوتِهِنَّ حين يَقْضِينَ الصلاة ، ولا يُعْرَفْنَ من الغَلَس »[1] . أى : لا يُعْرَفْنَ ، أَهُنَّ نساءٌ أم رجال من شدة ظلام الليل .

حدود صورة الحجاب من أسفل :

حددته الآية الكريمة ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾[2] فزينة الأرجل هى الخلاخيل ، ولما كُنَّ يُخْفِينها بأثواب سابغة كما تدل الآية الكريمة ، فإنهن كُنَّ يضربن بأرْجُلِهِنَّ حتى تُعْلِنَ هذه الزينة عن نفسها من وراء حجاب .

---

(١) الغَلَس : شدة الظلام .

(٢) سورة النور ـ من الآية ٣١ .

إذن لابد بموجب هذه الآية الكريمة من ستر الساقين حتى مكان الزينة منها ، أى العقبين .

وكذلك حديث رسول الله ﷺ حيث يقول :

« مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاَءَ لم ينظر الله إليه يوم القيامة »

فترد أم سلمة : فكيف يصنع الناس بذيولهم ؟

قال الرسول : « يرخين شبرًا » .

فتجيب أم سلمة : إذًا تنكشف أقدامهن .

قال الرسول : « فيرخينه ذراعًا ولا يزدن عليه » .

فالثوب لا يجب أن يكون طويلاً بحيث يُجَرُّ اختيالاً ، ولا يجب أن يكون قصيرًا بحيث يُظْهِر الساق ، فثياب المرأة المسلمة يجب ألاَّ تُظهر إلا الوجه والكفين من أعَلى ، ولا تظهر إلا القدمين من أسفل .

٢ـ أوصاف الحجاب :

ولكن هل سَتْرُ هذا القَدْر المشار إليه من أعلى ومن أسفل بأى ثوب يكفى ، أو أن هناك شروطا أخرى يجب أن تتوافر فى الثوب قبل أن يُسمى ثوبًا إسلامًيا ؟ .

الحقيقة أن هناك شروطًا أخرى يجب أن تتوافر فى ثوب المرأة المسلمة حتى يتفق مع أدب الشرع الإسلامى ، فيجب أن يجمع الأوصاف التالية :

أن يكون ساتراً لكل الجسم :

فيجب أن يغطى جميع الجسم ، عدا ما استثناه القرآن الكريم فيما ظهر منه ، وأرجح الأقوال أنه الوجه والكفان . فيجب أن يكون زىُّ المرأة المسلمة ساترًا لكل محاسنها ، بما فى ذلك الشعر والرأس وأسفل العنق ، وساترًا لكل جسمها ماعدا الوجه والكفين .

ويرى بعض الفقهاء :

أنه يجب على المرأة المسلمة تغطيةُ وجهها وكفيها إذا كانت بحضرة الرجال الأجانب ؛ لأنها من الزينة ؛ لقوله تعالى :

obeikandi.com

﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾ حيث يُعِدُّونَ الوجه والكفين من الزينة .

ويرى البعض الآخر : أن الوجه والكفين عورة ، ولكنهما من العورة المستثناة .

ألاَّ يَشِفَّ ولايصف ما تحته ، وألاَّ يكون ضيقاً :

فقال ﷺ لأسماء حين رآها فى ثوب رقيق شفاف :

« إنَّ المرأة إذا بلغت المحيض لا يصح أن يُرَى منها إلاَّ هذا وهذا، وأشار إلى وجهه وكفيه وذلك فى غَيْرِ زِينَةٍ» .

ودخلت نسوة بنى تميم على السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ وعليهن ثياب رقاق ، فقالت عائشة : « إنْ كُنتُنَّ مؤمنات فليس هذا ثياب المؤمنات » .

وأُدْخِلَتْ عليها عُروسٌ ـ هى حفصة بنت عبد الرحْمن بن أبى بكر ـ عليها خِمارٌ رقيق شفاف ، فقالت السيدة عائشة :

« لم تُؤْمِنْ بسورة النور امرأةٌ تلبس هذا . أَمَا تَعْلَمِينَ ما أنزل الله فى سورة النور ؟ » .

وروى مسلم عن أبى هريرة قال :

قال ﷺ : « صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّار لم أرَهُما : قوم معهم سِياطٌ كَأَذْنَابِ البقر يضربون بها الناس ، **ونساءٌ كاسياتٌ** عارياتٌ مُمِيلاتٌ ، رءوسهن كأَسْنِمَة البُخْتِ المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجِدْنَ ريحها ، وإنَّ ريحها لَيُوجَد من مسيرة كذا وكذا » .

ومعنى كاسيات عاريات :

أَنَّ ثيابهن لا تؤدى وظيفة الستر ، فتصف ما تحتها لرقتها وشفافيتها . ولفظ الكاسيات العاريات ينطبق على كل من تغطى جزءًا من جسمها وتكشف أجزاءً أخرى. وكذلك كل من تلبس ملابس شفافة تكشف عَمَّا تحتها ، وكل من تلبس ملابس ضيقة تحدد أجزاء الجسم تحتها . وكل أولئك لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ .

ويقول الشاعر الحكيم :

وَعَارٌ على مَنْ أكْرَمَ الله عِرْضَهَا وَعَزَّزَهُ أنْ تُرْخِصَ اللَّحْمَ والعِرْضَا

وأنْ تكشفَ المستورَ فى غَيْرِ حِلِّهِ فتهتِك سَتْرَ الله ، والله لا يَرْضَى

وقيل : مائلات : أى عن طاعة الله وما يلزمها حفظه .

مُمِيلات : أى يُعَلِّمْنَ غيرهُنَّ فِعْلَهُن المذموم .

والمرأة المتبرجة حينما تمشى فى الطريق تحمل أوزارًا بعدد النظرات التى تقع عليها ، ومثلها معها لأنها المتسببة فيما يقع فيه الناظرون من إثم ، وبتبرجها تشيع الفاحشة فى المجتمع ، إنها وألوف وألوف من النظرات تقع على المتكشفات يحملن أوزارها وأوزارًا مثلها . فهل عَلِمتْ كل منهن هذا الحساب وعملت له حسابًا قبل يوم الحساب ؟!

هذا تحذير شديد من التبرج والسفور ولبس الرقيق والقصير من الثياب ، والميل عن الحق والعفة ، وميل الناس إلى الباطل ، ووعيد لمن فعل ذلك بالحرمان من دخول الجنة . وصدق رسول الله ﷺ حين قال :

« رُبَّ كَاسِيَةٍ فى الدنيا عَارِيَة فى الآخِرَة » .

فيجب أن يكون زِيُّ المرأة المسلمة فضفاضًا غير ضيق لا يَصِفُ شيئًا من جسمها ، ولا يحدد أجزاء الجسم أو يبرز مفاتنه ، وإنْ لم يكن رقيقًا شفافًا .

يقول أسامة بن زيد : كسانى رسول الله ﷺ قبطية كثيفة مما أهداها له دِحْيَة الكلبى ، فكسوتها امرأتى ، فقال الرسول : مالَكَ لم تلبس القبطية ؟ قلت : كسوتُها امرأتى . فقال الرسول :

« مُرْهَا فَلْتَجْعَلْ تحتها غِلالَة ، أخاف أن تَصِفَ حجم عظامها » .

ألاَّ يشبه ملابس الرجال :

فيجب ألاَّ تلبس المرأة المسلمة ملابس مما يختص بلبسه الرجال ؛ لأن النبى ﷺ لَعَنَ مَنْ يفعل ذلك ، فى قوله ﷺ : « لُعِنَ المُتَشَبِّهُونَ من الرجال بالنساء ، والمُتَشبهات من النساء بالرجال »[1].

(١) رواه البخارى وغيره .

وروى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

« لَعَنَ النبىُّ ﷺ المُخَنَّثِينَ من الرجال ، والمُتَرجِّلاَتِ من النساء »

وقال : أخْرِجُوهُمْ من بيوتكم .

قال : فأخرج النبى ﷺ فلانًا ، وأخرج عُمر فلانًا .

والتى أخرجها النبى ﷺ ونفاها عن المدينة هى : بادية بنت غيلان ؛ لأنها كانت تتشبه بالرجال ، كما نفى عليه الصلاة والسلام أنجشة العبد الأسود الذى كان يتشبه بالنساء .

وعَدَّ الفقهاء من التخنث أن يجعل الرجل طِيبَهُ فى وجهه كالنساء ، ومن الترجل أن تجعل المرأة طيبها فى رأسها كالرجال .

ونهى رسول الله ﷺ أن تلبس المرأة لُبْسَةَ الرجل ، والرجل أن يلبس لُبسة المرأة . فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَعَن الله المرأةَ تلبس لُبْسَةَ الرجل ، والرَّجُلَ يلبسُ لُبْسَةَ المرأة» (١).

وقال ﷺ :

« ثلاثةٌ لا يدخلون الجَنَّةَ : العاقُّ لِوَالِدَيْهِ ، والدَّيُّوثُ ، والرَّجِلَةُ مِنَ النِّساءِ ـ أى : المتشبهة بالرجال » (٢).

وأعلن النبى ﷺ :

« أنَّ مِنَ المَحْظُورِ على المَرْأَةِ أنْ تَلْبَسَ لبسة الرَّجُل . . ومِنَ المَحْظُورِ على الرجل أن يلبس لُبسة المرأة » (٣).

وقد عَدَّ النبى ﷺ مِمَّنْ لُعِنُوا فى الدنيا والآخرة وَأَمَّنَتِ الملائكةُ على لعنتهم : « رَجُلاً جَعَلَهَ الله ذَكَرًا فَأَنَّثَ نَفْسَهُ وَتَشَّبه بِالنِّسَاءِ . . وامرأةً جعلها الله امرأة فتذكَّرَتْ وتَشَبَّهَتْ بالرجال » (٤).

---

(١) رواه أبو داود والنسائى .

(٢) رواه النسائى والبزار بإسنادين جيدين .

(٣) رواه أحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجه ، وابن حبان فى صحيحه .

(٤) رواه الطبرانى .

ويدخل فى ذلك المتشبه فى الكلام والحركة والمشية واللبس وغيرها ؛ لأن هذا خروج على الفطرة والطبيعة ، فلكل من الرجل والمرأة خصائصه .

فإن من الغباء أن تسعى النساء إلى تقليد الرجال كما أنه من الغباء أن يسعى الرجال إلى تقليد النساء . إن منظر المرأة التى تقلد الرجل فى ملبسها قبيح فى نظر الرجل ، بمقدار ما هو قبيح منظر الرجل الذى يلبس ملابس تشبه ملابس النساء فى الشكل أو اللون ، ويضع سلسلة ذهبية فى رقبته ويستعمل العطور النسائية . لقد أثبتت الإحصائيات أن الرجال يحبون النساء المحتشمات أكثر من حبهم للنساء العاريات , إن الرجل بحاجة إلى المرأة أكثر من حاجته إلى الرجل ، وإن المرأة بحاجة إلى الرجل أكثر من حاجتها إلى المرأة ، ولو كان الرجل والمرأة متماثلين لما احتاج أحدهما إلى الآخر ، ولا كان مكملاً ، بل مكررًا منه .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أربعة يُصبحون فى غضب الله ويُمسون فى سخط الله تعالى » . قيل : مَنْ هُم يا رسولَ الله ؟ قال : «المتشبهون من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال ، والذى يأتى البهيمة، والذى يأتى الذكر »(١).

كما يجب ألاَّ يكون الثوب معطرًا مبخرًا لقول الرسول ﷺ : « أيما امرأة تَعَطَّرَتْ فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهى زانية » .

ألاّ يشبه لباس الكافرات :

ألاّ تتشبه النساء المسلمات بالنساء الكافرات ، قال ﷺ :

« سيكون فى آخر أمتى رجال يركبون على السُّروج كأشباه الرجال ، ينزلون على أبواب المساجد نساؤهم كاسيات عاريات على رءوسهن كأسنمة البخت العجاف ، العنوهن فإنهن ملعونات »(٢).

فيجب ألاَّ تتشبه النساء المسلمات بالنساء الكافرات فى لبس القصير من الثياب ،

---

(١) رواه الطبرانى والبيهقى .

(٢) أخرجه أحمد ، والطبرانى فى الصغير ، وصححه الحاكم .

وإبداء الشعور والمحاسن ، ووصل الشعر ، ولبس الباروكة ، ومعلوم ما يترتب على هذا التشبه من الفساد والفتنة ، ورقة الدين ، وقلة الحياء ، ويجب ألاَّ يكون زىّ المرأة المسلمة مما يختص بلبسه الكافرات من النصرانيات واليهوديات والوثنيات ، فإن قصد التشبه بهؤلاء محظور فى الإسلام الذى يريد لنسائه ورجاله التميز والاستقلال فى المظهر والمخبر ، ولهذا أمر الرسول ﷺ بمخالفة الكفار فى أمور كثيرة، وقال ﷺ : « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فهو مِنْهُم » .

وكان ﷺ يتحرى مخالفة الكفار فى كل شىء ، حتى فى الهيئات البسيطة ، مثل فرق الشَّعر وإسداله ، من أجل ذلك نهى النبى ﷺ عن لُبس الـمُـعَصْفَرِ من الثياب ، وروى مسلم فى صحيحه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، قال :

« نهانى رسول الله ﷺ عن التَّخَتُّمِ بالذهب ، وعن لباس القسّ (نوع من الحرير) وعن لُبْسِ المُعَصفر » .

وروى أيضًاعن ابن عمر قال :

رأى رسول الله ﷺ علىَّ ثوبين مُعَصْفَرَيْنِ فقال : « إن هَذِهِ ثيابُ الكفارِفلا تلبسها» .

ويجب على الزوج أن يأمر زوجته وأهله بالالتزام فى ملبسهم ومظهرهم بما يتفق مع أدب الشرع الإسلامى ، ويجب على الزوج ألاَّ يطيع زوجته فيما تَهْوَى ويخالف آداب الإسلام .

وجاء عن النبى ﷺ أنه قال :

« ألا هَلَكَت الرِّجَالُ حين أَطَاعوا النساء »[1].

وجاء فى الصحيحين قول رسول الله ﷺ :

« اطَّلَعْتُ عَلَى النَّارِ فرأيتُ أَكْثَر أهلها النساء » .

وقال الحسن رضى الله عنه : « والله ما أَصْبَحَ اليومَ رجلٌ يُطِيعُ امْرَأَتَهُ فيما تَهْوَى إلاَّ أَكَبَّهُ الله تعالى فى النَّار » .

(١) أخرجه مسلم وغيره من حديث أبى هريرة .

يجب ألاَّ تكون ثيابُ المرأة المسلمة ثياب شهرة واختيال :

قال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (١).

ويقول عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (٢).

وقال ﷺ : « مَنْ جَرَّ ثوبه خُيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة » (٣).

لذلك يستحسن ألاَّ تكون الثياب طويلة تجر على الأرض ، وذلك احترازًا عن النجاسات والأقذار ، وطردًا للعُجب والخُيَلاء الذى يصاحب الثياب ، وقد فسر بعض المفسرين قوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ (٤). أى : قَصِّرْ ، توقيًا للنجاسات.

كما نهى النبى ﷺ عن ثياب الشهرة التى من شأنها أن تثير الفخر والمباهاة، وفى الحديث الشريف : « مَنْ لبس ثوبَ شهرة فى الدنيا ألبسه الله ثوب مَذَلَّةٍ يوم القيامة ، ثم ألهب فيه نارًا » (٥).

وقد سأل رجل ابن عمر : ماذا ألبسُ من الثياب ؟ فقال :

« مالا يَزْدَرِيكَ فيه السفهاء ، ولا يعيبك به الحكماء » (٦).

وهذا لا يتعارض مع ما ورد فى الحديث الصحيح :

« كُلُوا واشربوا والبسوا وتصدَّقُوا فى غير إسراف ولا مخيلة» .

وقول ابن عباس رضى الله عنه :

كُلْ ما شِئْتَ والبسْ ما شئتَ ، ما خطئتك اثنتان : سَرَفٌ أومخيلة » .

وقد أمر الشرع بأخذ الزينة والتحلى بأحسن الثياب بقدر الاستطاعة عند الذهاب إلى الجُمَعِ والأعياد والمحافل العامة ، قال تعالى : ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ

---

(١) سورة الحديد ـ من الآية ٢٣ .

(٢) سورة النساء ـ من الآية ٣٦ .

(٣) متفق عليه .

(٤) سورة المدثر ـ الآية الرابعة .

(٥) رواه ابن ماجه بإسناد حسن .

(٦) رواه الطبرانى ، ورجاله رجال الصحيح .

مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (١).

والذى فضله الإسلام هو الثياب البيضاء ، فقد ورد فيها الأثر : « خَيْرُ ثيابِكُم البِيضُ » . وكان رسول الله ﷺ يفضلها ـ كذلك يحب الإسلام اللون الأخضر .

تلك هى الحدود والشروط التى وضعها الإسلام لزى المرأة المسلمة ، فإن من جمال الدين وسماحته ومرونته أنه لم يفرض زيًّا مرسومًا محددًا للمرأة ، وإنما ترك لها أن تبتكر ما تشاء فى إطار تلك الحدود .

هذا ما يجب أن تلتزم به المرأة المسلمة فى مظهرها وزيها وزينتها وهى توقن وتعلم أن الله سبحانه وتعالى رقيب حسيب :

﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ (٢).

ولتعلم المرأة المسلمة أن ما تقدمه من خير ستجده عند الله خيرًا ، وما تقدمه من شر ستجده شرًّا .

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (٣).

ولا يمكن الإفلات من سيئة ، لأنها مسجلة فى كتاب محفوظ .

﴿ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (٤).

ولا يمكن الإفلات مِنْ كلمة ، لأن هناك الرقيب العتيد :

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (٥).

وأخيراً يكون الحساب والجزاء :

---

(١) سورة الأعراف ـ الآية ٣١ .

(٢) سورة غافر ـ الآية ١٩ .

(٣) سورة الزلزلة ـ الآيتان ٧ ، ٨ .

(٤) سورة الكهف ـ من الآية ٤٩ .

(٥) سورة « ق » ـ الآية ١٨ .

﴿ لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ (١).

ومِمَّا تقدم رأينا كيف يجب على المرأة المسلمة أن تستر جسمها كله ماعدا وجهها وكفيها بثياب طويلة إلى الكعبين ، وتستر اليدين إلى معقل الكف . ومن صفات الثوب ألاَّ يشف ، وأن يكون واسعا بحيث لا يحدد أعضاء الجسم ، ولابد من ستر الرقبة والشَّعر، ويجب أَلاَّ يشبه ملابس الرجال أو الكافرات ، وألاَّ يكون ثياب شهرة أو اختيال .

ويجب على الزوج ـ أو مَنْ له حق الولاية على المرأة ـ أن يمنعها من الخروج سافِرَةً ، ويحرم عليها إذا خرجت أن تضع على وجهها ويديها شيئًا من الزينة ، على أن يكون ذلك بمنهج الإقناع .

ويكون الأساس فى ذلك هو تثبيت الإيمان فى قلب المرأة المسلمة .

ومع ازدياد الجرعات الإيمانية فى كيانها سترى أن الحجاب هو الوسيلة المُثْلَى لاتقاء سهام الشيطان المارقة الطائشة ، وستطلبه وتسعى إليه باقتناع كامل صادر عن اطمئنان ذاتى داخلى ، وبذلك يكون الإيمان صادرًا من الداخل ، فيتمِّمُه المظهر الخارجى ، لأن إيمان الجوارح يجب أن يسبق ما عداه من مظاهر إيمانية خارجية ، وحينئذ ستؤمن المرأة المسلمة إيمانًا كاملاً بالتزام الزى الشرعى ، وأنه أدْعَى لصيانة البيت المسلم ، وأحْفَظُ للمجتمع الإسلامى .

و إذا كان من حق المرأة على الإسلام أن يصون كرامتها ويحفظ لها حقوقها ، فإن من حق الإسلام على المرأة أن تأتمر بأوامره ، وتنتهى عن نواهيه ، حتى تكون أهلاً لهذه الحقوق(٢).

إن الإسلام لم يكبت عاطفة المرأة ولم يقيدها ، بل وجه هذه العاطفة الرقيقة التوجيه السليم ، وجهها إلى ما يُصلحها ويبنى على أساسها مجتمع المحبة والحنان ، فجعل المرأة تتوجه بعاطفتها وحنانها وحبها لزوجها ـ وليس لغيره ـ كما تتوجه بحبها وعاطفتها وحنانها لأبويها ، ولأخواتها ، ولكل من له حق عليها ، وهى فى ذلك تُوَجِّه حبها

(١) سورة إبراهيم ـ الآية ٥١ .

(٢) محاضرات للشيخ محمد متولى الشعراوى .

وعاطفتها للخير ،للإيمان، للإصلاح . عند ذلك ينصلح حال الأسرة ، فينصلح حال المجتمع ككل .

ولا يجوز التساهل مع البنات الصغار ؛ لأن تربيتهن على السُّفور تفضى إلى اعتيادهن للسفور وكراهيتهن لما سواه ، إذا كَبِرْنَ ، فيقع بذلك الفساد والفتنة التى وقعت فيها الكبيرات من النساء .

فلنتق الله ، ولنحذر ما حَرَّمَ الله علينا ، ولنتعاون على البر والتقوى ولْنَتَواصَ بالحق ، ولنصبر عليه ، ولنعلم أن الله سبحانه وتعالى سائلُنا عن ذلك ، ومجازينا على أعمالنا ، وهو سبحانه مع الصابرين ومع المتقين والمحسنين ، فلنصبر ولْنُصَابِر ، ولنتق الله لِنُحْسِنَ ، إن الله يحب المحسنين ، ولعل الله سبحانه وتعالى يرفع عنا ما نزل من البلاء ، ويهدينا ونساءنا سواء السبيل .

وعن النبى ﷺ أنه قال :

« ما بَعَثَ الله مِنْ نبىٍّ إلا كان له من أُمَّتِهِ حَوارِيُّونَ وأصحابٌ يأخذون سُنَّتَهُ ويهتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومَنْ جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدَهُم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » .

٣ـ موقف نساء المهاجرين والأنصار من الحجاب :

ولتقفى قليلا ـ أيتها الفتاة المسلمة ـ عند موقف النساء المسلمات الْأُوَل عندما حرم الله على المؤمنات تبرج الجاهلية الأولى ، وأمرهن أن يتميزن عن نساء الجاهلية ويخالفن شعارهن ، ويلزمن الستر والأدب فى هيئاتهن وأحوالهن بأن يضربن بخمرهن على جيوبهن بأن يشددن أغطية رءوسهن بحيث تغطى فتحة الثوب من الصدر فتوارى النحر والعنق والأذن ، فقد روت السيدة عائشة رضى الله عنها كيف استقبل نساء المهاجرين والأنصار فى المجتمع الإسلامى الأول هذا التشريع الإلهى الذى يتعلق بتغيير شىء مهم فى حياة النساء ، وهو الهيئة والزينة والثياب .

قالت عائشة رضى الله عنها :

« يرحمُ الله النساءَ المهاجراتِ الْأُوَلَ ، لَمَّا أَنْزَلَ الله تعالى :

﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ شققن مُروطهن فاختمرن بها »

والمروط : أكسية من صوف أو حرير.

وجلست إليها بعض النساء يومًا فذكرت نساء قريش وفضلهن فقالت :

« إن لنساء قريش فضلاً ، وإنى والله ما رأيتُ أفضل من نساء الأنصار ، ولا أشد تصديقًا لكتاب الله ولا إيمانًا بالتنزيل . . لما أنزلت فى سورة النور قوله تعالى :

﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ انقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله فيها ، ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته ، وعلى كل ذى قرابته ، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المُرَحَّل (المزخرف) فاعْتَجَرَتْ به (شَدَّتُه على رأسها) تصديقًا وإيمانًا بما أنزل الله من كتابه ، فأَصْبَحْنَ وراء رسول الله ﷺ مُعْتَجِرَات كأن على رءوسهن الغربان » (١).

سورة النور هى تلك السورة التى تبدأ بِمَطْلَعٍ فريد فى القرآن كله ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا ﴾ إعلان قوى حاسم عن تقريرها وفرضيتها بكل ما فيها من حدود وتكاليف ، ومن آداب وأخلاق على درجة سواء ، ففرضية الآداب والأخلاق فيها كفرضية الحدود والعقوبات .

هذا هو موقف النساء المؤمنات مما شرع الله لهن . موقف المسارعة إلى تنفيذ ما أمر الله واجتناب ما نهى الله عز وجل بلا تردد ولا توقف ولا انتظار ، لم ينتظرن حتى يشترين أو يَخطْنَ أكسيةً جديدة تلائم غطاء الرءوس ، وتتسع لتضرب على الجيوب ، بل أى كساء وُجِدَ ، وأى لون تيسر فهو الملائم والموافق . شققن من ثيابهن ومروطهن وشَدَدْنَهَا على رءوسهن غير مباليات بمظهرهن الذى بدا كأنَّ على رءوسهن الغربان ، كما وصفتهن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها .

وليس القصد من هذا التشريع التضييق على المرأة وإحراجها بسلب حق من

---

(١) رواه أبو داود عن صفية بنت شيبة . وانظر تفسير ابن كثير لآية النور عن ابن أبى حاتم .

حقوقها ، وإنما القصد حفظ كرامتها وعدم إيذائها ممن لا يعرفون للفضيلة قيمة ، ولا للشرف وزنًا ، فهو فى الحق تشريع للمرأة لا عليها .

ولقد أوجب الله الحجاب على المسلمات المؤمنات بعد ستة عشر عامًا من بعثة الرسول الكريم ﷺ ، أى فى المدينة بعد ثلاث سنوات من الهجرة . والحجاب فى حد ذاته وسيلة لأن يكون المجتمع قائمًا على الحشمة والوقار ؛ لأن الهَوَى جامح وليس له حدود .

إن هذا التَّـزَيُّـنَ وهذا « التبهرج » الذى فشا بين البنات المسلمات يحرك العواطف ، ويوقظ الكوامن ، ويجعل من الإنسان ـ مَهْمَا سَمَا عَقْلُهُ وتقدم وعيه ـ طفلاً يحركه الشيطان ، وتهزه العواطف ، وتزلزله الشهوات ، بل يصبح عبدًا ذليلا لهواه .

وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (١) .

﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ (٢) .

فأى عاقلة سليمة التفكير تخالف ما جاء بكتاب الله وسُنة رسوله ؟ وأى عاقلة سليمة التفكير لا تأخذ من أمهات المؤمنين مَثَلاً يُحْتَذَى ؟ .

يا معشر المسلمات المؤمنات تذكَّرْنَ قول الله تعالى :

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (٣)

يا معشر المسلمات :

إنَّ معرفة الحلال والحرام وحدها لا تكفى ، فلابد من تقوى الله ، وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول : « اتق الله حيثما كنت » أى : لابد من الضمير الحى الذى يوقف المسلم والمسلمة عند حدود الحلال ، ويردعه عن اقتراف الحرام .

---

(١) سورة القصص ـ من الآية الخمسين .

(٢) سورة النور ـ من الآية الأربعين .

(٣) سورة « ق » ـ الآية ٣٧ .

فإذا توافر للمسلم والمسلمة المعرفة الواعية بحدود الدين الحنيف ، والشريعة السمحاء ، وإذا وجد الضمير اليقظ الذى يحرس هذه الحدود فقد توافر الخير كله . وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول :

« إذا أراد الله بامرىء خيرًا جعل له واعظًا من نفسه [1] .

إنَّ ما يدعيه البعض من أننا فى عصر الذَّرَّة ، وعصر الفضاء ، وأنَّ تَحَجُّبَ المرأة هذا يُرجعها إلى عصر التخلف ، يدفعنا هذا إلى الرد عليهم :

هل لو احتشمت المرأة وتحجبت سيقف العلم عن اكتشاف الفضاء ؟ وهل كان اكتشاف الذرة واكتشاف الفضاء نتيجة لِعُرْيِ المرأة وكشفها لجسدها وزينتها وتبهرجها؟ وهل كلما زادت الفتاة عريًا وزادت تبرجًا يزداد التقدم العلمى وتزداد الحضارة تقدما وازدهارًا ؟ .

على الفتيات المسلمات أن يجربن الحشمة والعفاف ، وسيجدن أن عصر الفضاء لن يعود إلى عصر الجهل ، وعصر الذرة لن يعود إلى عصور القرون الوسطى . إن الشعار الذى يتردد على أَلْسِنَة دعاة المدنية والحضارة الزائفة هو تحرير المرأة ، فلنسأل أنفسنا : هل تُعَامَل المرأة كعبدة وأَمَة حتى تتحرر ؟ أم أنها تُعامَل كإنسانة لها كل هذه الحقوق التى استعرضناها ، وعليها الواجبات التى تتفق وطبيعتها كأنثى ، وزوجة ، وأُم ، ولها كيانها وشخصيتها وكرامتها .

أصبح تحرير المرأة فى نظرهم هو : (أيجب أن تحتشم المرأة أم يجب أن تُظهر مفاتنها وهى كاسية عارية ؟) .

فاللَّهم أَغْنِنَا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك . وصدق الله العظيم حيث يقول ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [2] .

---

(١) رواه الديلمى فى مسند الفردوس بإسنادٍ جيد .

(٢) سورة الرعد ـ من الآية ١١ .

المرأة المسلمة بين الحجاب والنقاب:

حكم النقاب :

لما كان لزامًا على المرأة المسلمة بمقتضى قول الله تعالى فى سورة النور :

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1]. وقوله تعالى فى سورة الأحزاب :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[2].

لما كان لزامًا على المرأة المسلمة بمقتضى هاتين الآيتين أن تستر جسمها من قمة رأسها إلى ظاهر قدميها ، وليس لزامًا أن تخفى وجهها وكفيها بنقاب أو قفاز أوما أشبههما ، باعتبار أنه لم يقم دليل صريح من القرآن الكريم ، ولا من السنة المطهرة بوجوب إخفاء الوجه والكفين ، بل جاءت الأخبار الصحيحة بعكس ذلك .

ومن ثم يكون استعمال النقاب والقفاز عملاً شخصيًّا محضًا ، لا يساند الوجوب فيه دليل ظاهر .

---

(١) سورة النور ـ الآية ٣١ .

(٢) سورة الأحزاب ـ الآية ٥٩ .

أمَّا أن بعض النساء كُنَّ يخفين الوجه والأكف على عهد رسول الله ﷺ فإن ذلك كان من باب الحياء والاعتياد ، لاعلى سبيل الإلزام بحكم تشريعى .

يدل لهذا ما رواه الحاكم عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت : « كنا نغطى وجوهنا من الرجال حياءً » أى : حياءً منهن وخجلاً ، لا تشددًا ولا تغاليًا فى الدين .

وهو أيضًا ما رواه أحمد ، وأبو داود ، والبيهقى ، قالت عائشة رضى الله عنها :

« كانَ الركبانُ يمرون بنا ونحن مُحْرِمَاتٌ فإذا حَاذَوْنَا أَسبَلَتْ إحدانا جِلْبَابَهَا مِنْ رأسها على وجهها ، فإذا جاوزونَا كَشَفْنَاه » .

فتغطيةالوجه والكفين عملٌ اختيارى موقوت بظروفة ، غيرُ مأمورٍ به ، ولا منهيٌّ عنه ، ويكون خيرًا إذا تَرَجَّحَتِ الفتنة ، وتَعَيَّنَ دَرْءُ المَفْسَدة .

الأمر بغض البصر :

ولا يعنى جواز كشف الوجه والكفين وعدم وجوب إخفائهما ، لا يعنى ذلك حل الاستغراق فى النظر ، ومتابعته بين الرجال والنساء .

فقد جاء الأمر بغض البصر صريحًا واضحًا فى قول الله سبحانه وتعالى فى آيتى سورة النور : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾

وفى السنة أحاديث صحيحة كثيرة تحرم مداومة النظر إلى المرأة ، من هذا ما رواه أحمد وأبو داود عن علىٍّ رضى الله عنه ، حيث قال له رسول الله ﷺ : « يا علىُّ ، لا تُتْبِعِ النظرةَ النظرةَ . فإنَّ لَكَ الأولَى وليستْ الثانية (الأخيرة) » .

وحديث الخثعمية حيث حَوَّلَ رسول الله ﷺ وَجْهَ الفضل بن العباس عن النظر إليها ، ولم يأمرها بإخفاء وجهها .

لا ترخص فى الزى الإسلامى :

كما أنه مع هذا لا ترخُّصَ فى الزى الإسلامى ، فقد روى مسلم وأحمد ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قول رسول الله ﷺ : « صنفان من الناس لَمْ أَرَهُمَا : رجال

بأيديهم سِياطٌ كَأَذْنَابِ البقر ، يضربون بها الناس ، ونساءٌ كاسيات عاريات ، مائلاتٌ مُميلاَت ، رءوسهن كأسْنِمَةِ البُخْتِ المائلة ، لا يَدْخُلْنَ الجنة ولا يَجِدْنَ ريحها ، وإنَّ ريحَها لَيُوجَد من مسيرة كذا وكذا » .

والكاسياتِ العاريات : هن اللواتى يلبسن ما يشف وما يصف ويلفت النظر .

والمائلات المميلات : بنحو التخلُّع ، والاهتزاز فى المشى ، وبالخضوع واللين فى القول والحديث . وقد مر بنا هذا الحديث من قبل .

وبعد ، فإن الحلال بَيِّنٌ ، والحَرامَ بَيِّنٌ وبينهما أُمورٌ مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس . وإن من الخير للمسلم وللمسلمة الوقوف عند ما يعلم علمًا صحيحًا من حلال أو حرام ، وألاَّ يتجاوز هذا إلى مالا يعلم متزيدًا بالإفتاء بما لا سَنَدَ له ، متأولا ، أو متجاوزاً حدود التأويل ، والله تعالى يقول فى سورة الأعراف :

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(١)

ففى قوله تعالى : ﴿ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ نهى من الله عز وجل عن القول فى الإسلام بغير دليل أو برهان فى حدود أصول الإسلام المبينة فى القرآن الكريم والسنة المطهرة وما تفرع عنهما من أدلة ارتضاها سلف هذه الأمة .

والقول فى الدين بغير علم تحريمًا أو تحليلاً هو ما أكد الله أيضًا تحريمه فى قوله سبحانه وتعالى فى سورة النحل : ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ

(١) سورة الأعراف ـ الآيتان ٣٢ ، ٣٣ .

﴿ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ (١).

فمن الأحكام ما هو ثابت بدليل قَطْعِيِّ الدلالة ، قطعى الثبوت ، ومن الأحكام ما هو ثابت بدليل ظنى الدلالة ، قطعى الثبوت .

فما كان من الأحكام ثابتًا بدليل قطعى الدلالة ، قطعى الثبوت كان لزامًا لكافة المسلمين ، ولا محل لتأويله أو الحيدة عمَّا قضى به .

وما كان من الأحكام ثابتًا بدليل ظنى الدلالة ـ ولو كان قطعى الثبوت ـ كان للفهم الصحيح فيه مجال ومقال ، ولم يجز لأحد أن يُكْرِهَ أحدًا على انتحال فهم فى النص لم يطمئن إليه .

فإذا توافق كَثْرَةٌ من العلماء على رَأْيٍ كان على الكافة اتباعهم ، وكان لمن خالف أن يعمل برأية بدون أن يحاول حَمْلَ الغير علَى اتباعه حتى لا تكون فتنة ، حسبما تقرر فى آداب المفتى والمستفتى فى مباحث علم أصول الفقه .

ذلك أن هذه المذاهب الفقهية التى نتداولها إنما نشأت باجتهادات ، فى موضع قابل للاجتهاد ، وليس لمجرد الرغبة فى الاختلاف والنزاع ؛ لأن التفرق فى الدين هو المماحقة ، فقد حَذَّرَ الله منه ، فقال عز وجل ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (٢)

وقال عز وجل : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ (٣).

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ (٤)

ويجب رد المسائل المُتَنَازَع عليها إلى كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ ، وذلك قول الله سبحانه وتعالى فى سورة النساء ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ (٥)

---

(١) سورة النحل ـ الآية ١١٦ .
(٢) سورة آل عمران ـ من الآية ١٠٣ .
(٣) سورة الأنفال ـ من الآية ٤٦ .
(٤) سورة الأنعام ـ من الآية ١٥٩ .
(٥) سورة النساء ـ من الآية ٥٩ .

وقوله تعالى فى سورة الشورى :﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (١) ذلك لأن الدين قد فصله القرآن الكريم ، كما قال تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ (٢).

وبيَّنتْهُ السُّنَّة ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (٣).

ولأن من آيات القرآن الكريم ونصوص السنة المطهرة ما حوى قواعد عامة مقررة ومستقرة ليس فيها ما يصعب على الناس اعتقاده ، أو يشق عليهم العمل به ، ذلك قول الله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (٤).

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (٥).

وذلك يُسر الإسلام وعمومه الذى جمعه رسول الله ﷺ فى قوله الذى رواه البخارى : « إنَّ هذا الدين يُسْرٌ ، ولن يُشَادَّ الدين أحَدٌ إلا غلبه » .

وعليه فيجب علينا أن نلتزم بهذا المعيار الذى قرره القرآن الكريم فى تلك الآيات البينات ، والذى أوضحه رسول الله ﷺ فى أحاديثه الشريفة .

ومِنْ ثَمَّ فلا نجعل المندوب سُنَّة ولا نجعل السنة فرضًا حتمًا ، حتى لا نُضِل الناسَ بغير علم .

رابعًا : آراء من الشرق والغرب حول تحرير المرأة :

١ ـ الكاتبة الأمريكية هيلسيان سنانسيرى :

تقول الكاتبة الأمريكية هيلسيان سنانسيرى التى تخصصت فى دراسة مشاكل الشباب :

---

(١) سورة الشورى ـ من الآية العاشرة .
(٢) سورة النحل ـ من الآية ٨٩ .
(٣) سورة النحل ـ من الآية ٤٤ .
(٤) سورة البقرة ـ من الآية ٢٨٦ .
(٥) سورة الحج ـ من الآية ٧٨ .

« إن المجتمع العربى كامل وسليم ، ومن الخليق به أن يتمـسك بتقاليده التى تقيد الشباب والفتاة فى حدود المعقول ، وتحتم عدم إباحة الموجود عندنا فى الغرب ، هذه الإباحة التى هددت الأسرة فى أوربا وأمريكا ، فالقيود التى يفرضها المجتمع العربى صالحة ونافعة ، ولهذا أنصح أن تتمـسكوا بها . امنعوا الاختلاط ، بل اِرجعوا إلى عصر الحريم والحجاب ، فهوخير لكم من إباحية وانطلاقِ ومُجونِ أُوربا وأمريكا . إن الإباحية عندنا هددت الأسرة ، وزلزلت القيم والأخلاق . إن الفتاة الصغيرة عندنا أقل من عشرين سنة تُخالط الشباب ، وترقص ، وتشرب الخمر والسجائر ، وتتعاطى المخدرات باسم المدنية والإباحية ، فهل بقى شىء ؟ .

٢ ـ الكاتبة الفرنسية هيلين ميشال :

تقول الكاتبة الفرنسية هيلين ميشال :

إن الحرية والتقدم الاقتصادى والمراكز العالمية التى حصلت عليها المرأة فى فرنسا لم تمنع عنها المشاكل الحادة ، ولم تحسن وضعها ، ولم تجعل منها النصف الملائم لقيادة سفينة الحياة .

أيتها الفتاة : ليس هناك من يحبك أكثر من الله ، فلا تنسيه حتى لا ينساكِ ، وكل الأمور ستجرى على ما يرام .

أيتها الفتاة :

إن شعارات ونظريات الغرب تستمد كل قوتها من النفس الجائعة إلى إشباع الهوى والجنس ، والعاطفة الثائرة ، فعليكِ ألاَّ يخدعك السراب بسرعة بأن تنطلقى بدون قيد أو شرط بدعوى التحرر ، واحذرى من ترديد الفكرة القائلة : « إن المرأة الشريفة شريفة . . . ولا يرتبط الأمر بالحجاب » .

إن هذا التحرر ليس إلا استعبادًا أسودَ للمرأة ، وأن هذا الانطلاق ليس إلا تمردًا من المرأة على عقيدتها وتقاليدها ومجتمعها ، تمردًا يقتل كرامتها كإنسانة ، وكأنثى ، وكزوجة ، وأُمّ .

٣ـ الدكتور خارشيف :

وفى بحث نشر فى صحيفة « برافدا » السوفيتية للخبير الاجتماعى دكتور خارشيف يقول :

« لقد أصبح الطلاق يمثل ٩٠ ٪ من حالات الزواج ، وإن السبب الرئيسى لظاهرة انهيار الحياة الاجتماعية هو فساد الأخلاق والإدمان فى شرب الخمور » .

ويقول علماء الأخلاق : « إن الجنس يجر إلى الجنس ، وإن الحرام مغناطيس للحرام، وإن التوغل فى العصيان يغرى بالتوغل فى العصيان » .

أيتها الفتاة المسلمة :

يا من أعزك الإسلام وأكرمك ، وسَلَكَ بكِ طريق السعادة والمجد ، اصمدِى أمام خداع وتضليل الحضارة الغربية الزائفة ، وتسلحى بالعقيدة والعلم والفكر الملتزم ، واعتزى بدينك الإسلامى الحنيف ، وافتخرى به ، حينئذ ستجدين كل الأفكار الزائفة هشيمًا تحت الأقدام . ستجدين كل أقنعة الضلال والفساد تتساقط عن وجوه دعاة الفكر المنحل وراء المدنية والحضارة الغربية الزائفة . . . ستجدين نفسك فى قمة السعادة والرضا والطمأنينة . . لك كل الحقوق وعليك كل الواجبات ، بكرامة واعتزاز . . ستجدين كل أعدائك يجرُّون ذيول الخيبة والفشل الذريع .

وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴾ (١)

إن حقيقة الإيمان هو أن تتلقى المسلمة أمر الله ورسوله ، وتتحرك به توًّا ، وتمضى فى سبيله جادة حاسمة ، لا يهمها ما عليه هذه الكتل البشرية التائهة الضالة الذاهلة عن حقيقتها وعن مصيرها الأسود .

إن هذا الإيمان الأصيل هو الذى دفع نساء الأنصار أن يَقُمْنَ فور سماع قول ربهن :

---

(١) سورة البروج ـ الآية العاشرة .

﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ الآية إلى مروطهن فيشققنها ويعتجرن بها حتى جئن فى صلاة الغداة وكأن على رءوسهن الغربان ، وهكذا أثنت عليهن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، لم تتعلل واحدة منهن بأى شىء ، ولم ينتظرْنَ حتى يعددن خُمُرًا جديدة ، يكفيهن أن هذا الأمر مُنَزَّلٌ من عند ربهن ، وجاء من فوق سبع سمٰوات؛ ليحرك ذلك المجتمع المبارك فى اتجاه يرضاه الله ويرضاه رسول الله ، ويمقت ماعداه مقتًا كبيرًا ، فمن تذعن إذعانًا كاملا لأمر ربها فستكون حيث يريدها الله ، ستكون من الذين آمنوا بالله ربًّا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولا ، وكفروا بكل أرباب الأرض ، حتى أشربوا فى قلوبهم روح الإسلام ومقاصده وغاياته ، وحتى غدت تصوراتهم ومعاييرهم ومقاييسهم إسلامية محضة ، فما يؤثره الله ورسوله وما يفضله الله ورسوله وما يقره الله ورسوله فى دنياهم هو الحق المبين الذى لا ريب فيه .

وأمَّا من تؤمن ببعضٍ وتكفر ببعض فما جزاء من تفعل ذلك إلا الخِزْى . وأما مَنْ تكفر به كله وتتولى على أعقابها فتذوق عذاب الهون بكفرها إن شاء الله .

وبعد :

فإننا لا نعرف من تزعم الإيمان بالله واليوم الآخر بعد كل هذا وتُصِرُّ على ما هى فيه مستكبرة ، وكأنها لم تسمع شيئًا ، وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۞ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (١) .

وليس الوضع الإيمانى أن تؤمن فقط ، بل أن تشهد الإيمان كأنه مشهد ، كأنه واقع ، أن تستحضر الجزاء أمام الطاعة التى أمر الله بها ، ولا تغفل عن ثوابها ، وأن تستحضر الجزاء أمام المعصية التى نهى الله عنها ولا تغفل عن عقابها ، فإن رؤية الجزاء على الشىء واستحضاره تهون مشقة التكليف ، وتهون من شهوة المعصية ؛ ولذلك حينما سأل رسول الله ﷺ الصحابى الجليل معاذ بن جبل كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت بالله مؤمنًا حقًّا .

---

(١) سورة الجاثية ـ الآيتان ٧ و ٨ .

قال الرسول : « لكل حق حقيقة ، فما هى حقيقه إيمانك ؟» .

قال معاذ : عزفت نفسى عن الدنيا ، فاسْتَوَى عندى ذَهَبُهَا ومَدَرُهَا ، وكأنى أنظر إلى أهل الجنة ينعمون ، وإلى أهل النار يُعَذَّبُون » .

إن التزام الفتيات بالحجاب الإسلامى لدليل على أن نفوسهن أكبر من انحراف المجتمع ، وأكبر من إغراءات المجتمع ، وأكبر من سُخريات المجتمع بهن . . . قد يهزأ المجتمع بهن ، وهزء المجتمع الفاسد شرف . والله تعالى عرض علينا هذه الصورة فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ۞ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۞ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ۞ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ۞ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ۞ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۞ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۞ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ (١)

إننا إذا سرنا بِخُطًا مؤمنة وخُطًا ثابتة سيكون الله معنا ، فالله لا يريد منا إلاَّ أن نتوجه بقلوبنا إليه ، وبعد ذلك مِنْهُ العونُ والهداية ، فالله سبحانه وتعالى جعل المفتاح فى يدنا ، فإذا أردنا أنْ يَتَقَرَّبَ الله مِنَّا ذراعًا فلنتقرب إليه شبرًا ، وإذَا أردنا أن يتقرب الله منا باعًا فلنتقرب إليه ذراعًا .

فبمجرد إيماننا بالله وإقبالنا بإخلاص على منهجه سنجد المعونة ، وسنجد العون ، وسنجد الإشراق . إننا إذا أقبلنا على منهج الله وعشنا عيشة إسلامية سنجد لنا نورًا ، وسنجد لنا إشراقًا ، وسندرك حلاوة الإيمان ، حلاوةً نأسفُ على مافاتنا من عمرنا دونها ، وكما يقول أبو سعيد الخَرَّاز : كُلُّ ما فَاتَكَ مِنَ الله سِوَى الله يَسِيرٌ ، وكُلُّ حَظٍّ لَكَ مِنَ الله سِوَى الله يَسِيرٌ » .

---

(١) سورة المطففين ـ الآيات من ٢٩ ـ ٣٦ .

إن الله لا يُغَيِّرُ ما بقوم حتى يُغيروا ما بأنفسهم ، و إننا مادمنا قد بعدنا عن كتاب الله وُسنة رسوله فلابد أن يكون واقعنا هكذا . فإذا أردنا أن يعود لنا كل أملنا وكل مُتمنَّانَا وطموحنا ـ استقرارًا وأمنًا ورخاءً وسعادة ـ فلنغير ما بأنفسنا ، ولنعلم جميعًا أن الله لا يتغير من أجلنا ، ولكن يجب أنْ نتغير نحن من أجل الله تعالى [1].

(١) محاضرات لفضية الشيخ محمد متولى الشعراوى .

obeikandl.com